المبحث الثانى

الموارد الاقتصادية دلائل إعجاز قدرة الله ﷻ

واجه النبى ﷺ عناد أهل الكفر ، ومبالغتهم في طلب المعجزات ، برغم أن القرآن الكريم معجزة في ذاته ، ورسول الله ﷺ معجزة بشرية قائمة بينهم يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

واحتج الكفار على رسول الله ﷺ بطلب معجزات حسية ، شأن ما حدث مع الرسل السابقين كعصا سيدنا موسى وإحياء الموتى على يد سيدنا عيسى .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾[الرعد: ٧].

والموقف من المعجزات الحسية في الإسلام مختلف من عدة أوجه :

● فالمعجزات الحسية تخاطب المشاهدين لها في زمانها ولا تتجاوز هذا الزمان إلى ما بعده، والإسلام آخر دين نزل إلى أهل الأرض وسيظل قائما إلى يوم القيامة بإذن الله ، وما سيشاهده معاصرو النبى سيفتقده من جاءوا من بعده ، أما معجزات الكون فهى قائمة إلى نهاية التاريخ .

● القرآن معجزة خالدة قائمة بذاتها ، يقيم في وجه البشرية جميعا التحدى إلى يوم القيامة بأن يأتوا بسورة من مثله .

وهكذا فإن رحمة الله السابغة ، وترفقه الرحيم بعباده ، لفت انتباه الكفار وغيرهم إلى معجزات حسية ، ليست موقوفة على زمان دون آخر ، وإنما هى قائمة وستظل إلى يوم القيامة، فكان أن أشار سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى آيات كونية تبين إبداع قدرة الله ﷻ ، وعجيب خلقه ، وأمر بإمعان النظر في تلك الآيات الكونية ، للاعتبار والتدبر في عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى .

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾[يونس: ١٠١].

وهكذا تحول الأمر من معجزة حسية تخاطب أهل زمان دون غيرهم ، إلى معجزات حسية قائمة في الكون إلى يوم القيامة .

وجاء التعبير القرآني بكلمة «آية» في معرض الحديث عن تلك المعجزات الكونية، للتنبيه إلى كل ما في الكون بسمائه وأرضه من إعجاز في الخلق، وشغلت الموارد الاقتصادية حيزاً واسعاً من تلك الآيات، في الماء والأرض والزرع والرياح واختلاف الليل والنهار والنجوم وإزاء موارد أخرى عديدة.

وبمتابعة دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم وعلاقتها بالموارد الاقتصادية، يمكن بإيجاز عرض بعض الأدلة القرآنية، على النحو التالي:

● جاء ذكر شامل لتلك الآيات في قول الله ﷻ:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[البقرة: ١٦٤]

● وجاء ذكر الآيات مصاحبة لنعمة الماء في قوله ﷻ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]

● وجاء ذكر الآية مصاحب لنعمة الماء أيضاً في قوله سبحانه جل شأنه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ١٠-١١]

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[النحل: ٦٥]

● جاء التنبيه إلى آية الأرض وما فيها من منافع في قوله سبحانه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾
[الرعد: ٣-٤]

● وفي نعمة الزرع والثمار ، جاء التنبيه إلى آيتها في قول الله ﷻ :

﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[النحل: ٦٧].

● وجاء في آية اختلاف الليل والنهار في قوله جل شأنه :

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾[يونس: ٦].

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[يونس: ٦٧].

ثم جاء التنبيه إلى أوجه الانتفاع من اختلاف الليل والنهار في قوله ﷻ:

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾
[الإسراء: ١٢]

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[الروم: ٢٣].

● وجاء ذكر آيات النجوم وأوجه الانتفاع بها في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[الأنعام: ٩٧].

● وجاء ذكر آيات الشمس والقمر وما فيهما من منافع في قول الله ﷻ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٥]

● ويأتي التنبيه إلى معجزة وآية ربانية ، لا يملك إنكارها إلا معاند جاحد ، ألا وهو معجزة خلق عسل النحل :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٦٨-٦٩]

● وفي ذكر آيات الرياح قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[الروم: ٤٦]

ثم التنبيه إلى أثر افتقاد تلك النعمة ، في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[الشورى: ٣٣].

● وفي نعمة تسيير الناقلات البحرية والفلك ، يأتي ذكر آياتها في قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾[الشورى: ٣٢].

والجدير بالذكر أن التنبيه إلى آيات الله في الكون ، لم يأت بمدخل لغوى واحد فقط في القرآن الكريم ، على نحو ما تم الاستشهاد به في كلمة «آية»، وإنما هناك توجيهات مماثلة بمدخل لغوى مخالف ، مثل الدعوة إلى النظر والتدبر وضرب الأمثال وغير ذلك .